رسالة

في الفرق بين الروح والنفس

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين الكتب المخطوطة التي اطّلعنا عليها في اواسط الجولسنة ١٩٠٩ في المكتبة الخالدية في القدس الشريف فتاطف اصحابها باجازة نسخ ما شئنا منها كتابٌ نُظم في برنامجها في باب المجاميع الطبيّة يحتوي عدّة رسائل فلسفيّة طُبع البعض منها جسّة الشيخ العلّامة طاهر افندي الجزائري . ومنها لم يُطبع رسالة لارسطاطاليس في النفس قد تلف قسمٌ كبير منها فذهبت بذلك فائدتها . وهناك رسالة اخرى نفيسة لم تطبع ايضاً عنوانها «رسالة في الفرق بين النفس والروح» يقال في اوّلها « الفها حنين بن اسحاق العباديّ لمحمّد بن موسى المنجم » قال : « وقد اختلفوا فيها فقوم قالوا انها لحنين وقوم قالوا انها قسطا بن لوقا لبعي ابن افرخشاه » فاستنسخناها لننشرها كتتمّة لما سبق نشره من هذه المقالات الفلسفيّة القديمة . والحق يقال انها اثر نفيس يدلّ على ما كان لصاحبها من سعة المعرفة بحكمة اليونان كارسطو وافلاطون وبطلميوس كبقراط وجالينوس فجمع في اوراق قليلة عدّة معلومات متفرّقة في كتبهم . والمؤلف قد اراد بالروح ما كان يفهمه اليونان باسم πνεῦμα والروم باسم spiritus في معناها الاصليّ اعني بمعنى النسمة الماديّة التي في الانسان ليس بمعنى الجوهر المجرّد عن الجسد كما يُستدلّ من اصل اشتقاقها من فعلَي πνέω و spiro بمعنى قول العرب راحت الريح اذا هبّت ونفخت . وكان قدماء الحكماء يقسمون الروح بهذا المعنى المادّي الى قسمين يدعون قسماً الروح الحيوي (esprit vital) ويجعلون موقعهُ في القلب وقسماً الروح النفساني (esprit animal) يجعلون مركزه في الدماغ . وهذا الرأي القديم مبنيّ على ظواهر الحياة الّا انّ القدماء الذين كتبوا في ذلك وعنهم اخذ صاحب هذه الرسالة قد بالغوا بعض المبالغة بحيث يظهر من قولهم انّ الروح التي وسموا قواها انباتيّة والحسيّة هي مبدأ مستقلّ عن النفس وليس الامر كذلك . فانّ اصول الفلسفة الصادقة فضلاً عن تعليم الكنيسة تقرّر في امر النفس انّها المبدأ الوحيد لاعمال الانسان سواء كانت نباتيّة او حسيّة او عقليّة وانّما مظاهر النفس تختلف على حسب عملها في نموّ الجسد وغذائه او في القسم المشترك فخصّ الروح بتلك الاعمال

اما النفس فقد اخذها المؤلف بمعناها الفلسفيّ اعني الجوهر البسيط الروحي الخالد البقاء المخلوق من الله ليتّحد بجسم عضويّ وان امكنهُ ان يحيا دونهُ فلخّص في القسم الثاني من مقالته آراء القدماء بكل دقّة فجاءت مقالتهُ من اجود الآثار الفلسفية واستحقّت بذلك أن

تُنشَر لئلا تُفقَد فائدتها ولاسيما انَّ منها نسخةً وحيدة فقط تُحفَظ في خزانة مخطوطات غوتا من اعمال المانية (Pertsch: Arab. Handschr. zu Gotha. n° 1158). اما نسخة القدس الشريف فقديمة يرتقي تاريخها بالتقريب الى القرن الرابع عشر وهي مشرقة الخطّ مكتوبة على ورق صفيق نسخها لنا عن الإصل جناب محمَّد امين الدنف الانصاري فنشكر فضلهُ

بقي علينا تعريف واضح هذه الرسالة فان كاتب هذه النسخة بعد ان ذكر انَّ مؤلفها هو حنين بن اسحاق العبادي روى ما جاء من الخلاف بين العلماء في صاحبها أهو حنين بن اسحاق او قسطا بن لوقا. وعندنا انَّ مصنّف هذه الرسالة ليس بحنين وانما هو ابن لوقا ودونك الاسباب التي تحملنا على نسبتها الى ابن لوقا :

السبب الاوّل اننا راجعنا كلّ جداول تآليف حنين بن اسحاق المدوَّنة في كتاب الفهرست لابن النديم (ص ٢٩٤) وفي تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي (ص ١٧١ — ١٧٢) وفي طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (١ : ١٨٤—٢٠٠) مع ما ذكر منها في كشف الظنون للحاج خليفة وما بقي منها في خزائن الكتب الشرقيَّة في اوربَّة فلم نجد ذكرًا لهذه الرسالة

والثاني اننا على خلاف ذلك وجدنا في التآليف السابقة ذكرًا لهذه الرسالة في جملة تآليف قسطا بن لوقا . فقد ذكرها ابو الفرج الورَّاق المعروف بابن النديم في الفهرست (ص ٢٩٥) وسمَّاها كتاب الفصل بين النفس والروح ومثلهُ جمال الدين القفطي في ترجمة قسطا بن لوقا (ص ٢٦٢) ودعاها كما في نسخة المكتبة الخالديَّة « كتاب الفرق بين النفس والروح » وتبعهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ : ٢٤٥). امَّا النسخة الخطيَّة المصونة في مكتبة غوتا (Pertsch, n° 1158. p 369) فان الرسالة تُدعى فيها كما في فهرست ابن النديم « الفصل بين النفس والروح » ولا يُذكر فيها اسم مؤلّفها وقد نسبها صاحب الفائقة الى ابن سينا تخمينًا وحدسًا. والصواب كما رأينا

والثالث انَّ لغة هذه الرسالة تدلّ على انها لقسطا بن لوقا وليست لحنين لأنَّ عربيتها افصح وابلغ ممَّا نعرفهُ من تآليف حنين بن اسحاق الباقية الى زماننا . امَّا قسطا بن لوقا فكان مشهورًا بجودة انشائهِ كما اشار اليهِ اصحاب ترجمتهِ

والرابع انَّ هذه الرسالة عرفها النَّقَلة الى اللاتينيَّة (١ منذ القرن الثاني عشر للمسيح فترجمها المعروف بحثًا الاسباني ونسبها الى قسطا بن لوقا (٢ (Johannes Hispalensis) فطبعت هذه الترجمة مرَّة اولى سنة ١٥٣٦ في مدينة بال (Bâle) ثمَّ أُعيد طبعها في مجموع فلاسفة

---

١) اطلب تاريخ المنقولات العربية الى اللاتينيَّة F. Wüstenfeld : Die Übersetzungen Arabischer Werke in das Lateinische seit dem xi Jahrhundret.(p - 33)

٢) وقد دعاه المترجم « قسطنطين الافريقاني » اطلب فائمة المطبوعات العربيَّة في المتحف البريطاني (ج ١ : ٨٠٥) Ellis (A.G.) : Catalogus of Arabic Books in the British Museum.

القرون الوسطى (١ الذي نُشر سنة ١٨٧٨ بمساعي باراك (Barach) امّا الاصل العربيّ فلم يُنشر

وهنا لا بُدَّ ان نضيف الى قولنا كلمة في مؤلف الرسالة فنقول هو قسطا بن لوقا البعلبكي احد مشاهير علماء الدولة العبّاسيّة. قال صاحب الفهرست (ص٢٩٥ بعد ذكره لحنين: « كان يجب ان يقدَّم على حنين لفضلهِ ونبلهِ وتقدُّمهِ في صناعة الطب ولكن بعض الاخوان سأل ان يقدَّم حنين عليهِ وكلا الرجلين فاضل . . . وكان بارعاً في علوم كثيرة منها الطبّ والفلسفة والهندسة والاعداد والموسيقى لا مطعن عليهِ فصيحاً باللغة اليونانيَّة. جيد العبارة بالعربيَّة ». ونقل ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٤٤) عن سليمان بن حسّان ان قسطا « مسيحيّ النحلة طيّب حاذق نبيل فيلسوف منجم عالم بالهندسة والحساب » ثمَّ زاد عليهِ: « وكان جيّد النقل فصيحاً باللسان اليوناني والسرياني والعربي واصلح نقولاً كثيرة واصلهُ يوناني. ومما روي من اخباره انهُ كان في ايام المقتدر قال ابن القفطي في تاريخ الحكماء : « دخل ايّام بني عبّاس الى بلاد الروم وحصل من تصانيفهم الكثير وعاد الى الشام واستُدعي الى العراق ليترجم كتباً و يستخرجها من لسان اليونان الى لسان العرب وعاصر يعقوب بن اسحاق الكندي. وقد نقل صاحب الفهرست وابن ابي اصيبعة عن عيدانه بن جبرئيل بن بختيشوع انَّ قسطا اجتذبهُ سنحاريب الى ارمينية فاقام بها وكان بارمينية ابو الفطريف البطريق من اهل العلم والفضل فسمل لهُ قسطا كتباً كثيرة جليلة نافعة شريفة المعاني مختصرة الالفاظ في اصناف من العلوم ومات هناك فدُفن وبُني على قبره قبّة وأكرم قبره كما كرام قبور الملوك ورؤساء الشرائع ». (قال) : « فلو قلتُ حقاً قلتُ انهُ افضل مَنْ صنَّف كتاباً بما احتوى عليهِ من العلوم والفضائل وما رُزق من اختصار الالفاظ وجمع المعاني ». ثم ذكروا لهُ جدول تآليفهِ البالغ خمسين كتاباً بيّف فُقد اكثرها. ومما يؤسف على فقدهِ خصوصاً كتاب تاريخ كان دعاهُ الفردوس وكتاب نوادر اليونانيين ومذاهبهم وكتاب آداب الفلاسفة وكتاب الاوزان والمكاييل وكتاب المرايا المحرقة وكتاب القرسطون . وقد نجا من آفات الدهر كتابهُ اختلاف الناس في اخلاقهم وسيرهم وكتاب في العمل بالكُرة وكتاب الاسطرلاب وبعض نقول لكتب اليونان ككتاب اقليدس وكتاب الأكر لثاودوسيوس وكتاب الطولوقس في الطلوع والغروب. ولم يُطبع لقسطا بن لوقا الّا شيء قليل فمن ذلك كتاب رفع الاثقال لأبرُن ترجمهُ من اليونانية وطبعهُ آخراً العلّامة كارا دي ڤو Carra de Vaux : Les Mécaniques de Héron d'Alexandrie وقد طبع في مصر كتاب الفلاحة اليونانية لقسطوس الفيلسوف الرومي فظنَّ الطابع انَّ قسطوس المذكور هو قسطا بن لوقا ولو حقَّق النظر لرأى ان قسطوس هذا ليس بقسطا بن لوقا وانما هو احد قدما اليونان وقد ترجم كتابهُ سرجيس بن هلبا

ومما لقسطا بن لوقا من الآثار المذكورة في جدول تآليفهِ ومحفوظة في مكتبتنا الشرقية جوابهُ الى ابن عيسى يحيى ابن المنجم وكان هذا وجّه اليهِ والى حنين بن اسحاق رسالة دعاها بالبرهان

(١ وهذا عنوانها Costa-ben-Lucæ de differentia animæ et spiritus liber ex arabico in latinum translatus a Johanne Hispalensi .

ليثبت فيها دين الاسلام فاجابهُ قسطا برسالة مثلها والرسالتان بين مخطوطات مكتبتنا وكذلك لدينا جواب حنين على صورتين الواحدة على طريقة جدلية والاخرى على مبنىً فلسفي يثبت فيهِ النصرانية فهذه الصورة الثانية قد نشرناها في مجموع الابحاث الذي طُبع ليوبيل العلّامة نلدكه (١ وقد عدنا فكرّرنا طبعها في مجموعنا « مقالات لاهوتية قديمة (ص١٣١) »

هذه الرسالة

في الفرق بين النفس والروح

الّفها حنين بن اسحاق العبادي لمحمّد بن موسى المنجّم

وقد اختلفوا فيها فقوم قالوا انها لحنين وقوم قالوا الّفها قسطا بن لوقا لعيسى بن افرخانشاه (٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

سالتَ اعزّك الله عن الفرق بين الروح والنفس وما قالت الاوائل فيهِ وقد رسمتُ في ذلك جُملًا استخرجتُها من كتاب افلاطن المسمّى فادن (٣ ومن كتابه المسمّى طيماوس (٤ ومن كتاب ارسطوطاليس وثاوفرسطس في النفس ومن كتاب جالينوس في اتفاق آراء بقراط وافلاطن ومن كتابه في عمل التشريح وفي منافع الأعضاء واستعملتُ

---

١) اطلب Orientalische Studien Theodor Noeldeke zum siebzigsten Geburtstag gewidmet, p. 282-291

٢) ويقال عادةً قَرْخان شاه. كان هذا متولّياً على ديوان الخراج ايام المتوكّل وخلفائهِ ذكرهُ الطبري في تاريخهِ غير مرّة ولم يذكر سنة وفاتهِ

٣) هو كتابهُ المدعو باليونانية Φαίδων باسم احد تلامذة افلاطون

٤) وباليونانية Τίμαιος علم لبعض تلامذتهِ